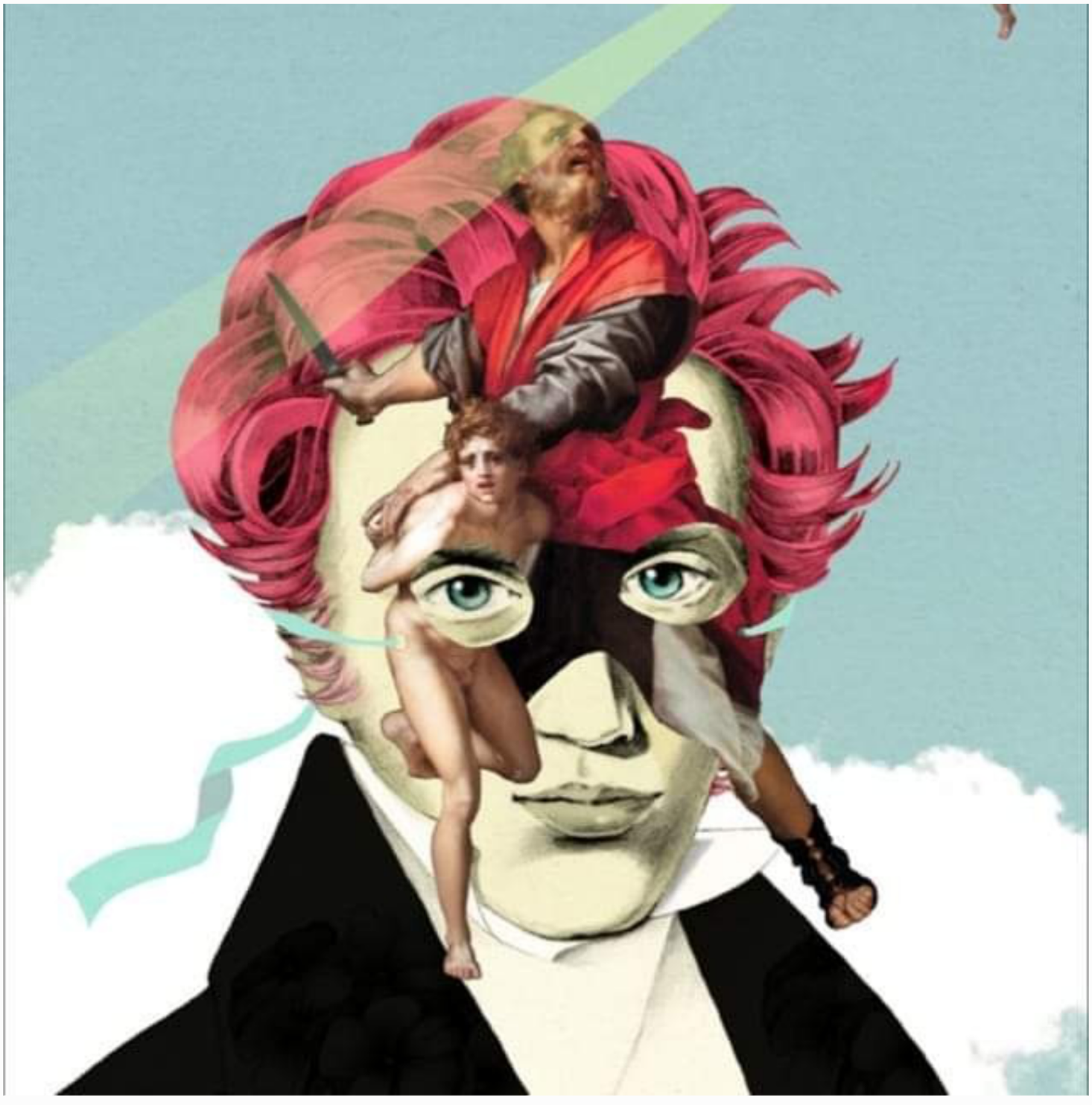

الفرد الأتعس: جزء من مقالة من كتاب إمّا أو
لسورن كيرككورد.

من ترجمة: قحطان جاسم.

كيف يمكن تعريف الفردية التعيسة بشكل أدق.
أولا علينا النظر في الفرد الآمل. عندما لا يكون الفرد الآن، الذي يأمل (وبالتالي إلى حد ما تعيس) غير حاضر لنفسه، يصبح تعيساً بمعنى أكثر صرامة. الفرد الذي يأمل في الحياة الأبدية هو، بالتأكيد، شخصية تعيسة، بقدر ما يتخلى عن الحاضر، ولكن، بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو ليس مع ذلك تعيساً، لأنه موجود لنفسه في هذا الأمل ولا يتعارض مع لحظات النهاية الفردية. إذا لم يكن المرء مع ذلك حاضرا لنفسه في الأمل، بل يفقد أمله، ثم يأمل ثانية، وما إلى ذلك، فهو غائب عن نفسه، ليس فقط في الزمن الحاضر، بل وأيضا في الزمن الذي سيأتي، فعندئذ يكون لدينا شكل من أشكال التعاسة. إذا نظرنا إلى الفرد المتذكر، نجد نفس الشي. إذا كان بإمكانه أن يكون حاضرا لنفسه في زمن الماضي، فلن يكون، بالمعنى الدقيق للكلمة، تعيساً، ولكن إذا لم يستطع فعل ذلك، بل يبقى غائبا باستمرار عن نفسه في زمن ماضٍ، فعندئذ يكون لدينا شكل للتعيس.

تعتبر الذكرى بصورة رئيسية العنصر الحقيقي للتعساء، وهو أمر طبيعي، لأن الزمن الماضي له خاصية غريبة تتمثل في أنه قد انتهى، والمستقبل أنه قادم. وبالتالي يمكن للمرء أن يقول بمعنى ما، إن الزمن المستقبلي أقرب إلى الحاضر من الماضي. لكي ينبغي الآن أن يصبح الفرد الآمِل (الذي يأمل) حاضراً في الزمن القادم، يجب أن يكون له واقع، أو الأصح، يجب أن يكتسب واقعاً بالنسبة إليه، ولكي ينبغي أن يصبح الفرد المتذكر حاضراً في الزمن الماضي، فيجب أن يكون قد امتلك واقعا بالنسبة إليه. لكن عندما سيأمل الفرد الآمل زمنا قادما، الذي لن يكتسب، مع ذلك، أي واقع بالنسبة إليه، أو أن الفرد المتذكر سيتذكر زمنا، الذي لم يمتلك أي واقع، فعندئذ يكون لدينا أفراد تعساء حقيقيون. الأول توجب على المرء أن لا يعتقد أنه كان ممكنا أو يراه جنونا خالصا، ومع ذلك، فهو ليس كذلك، فالفرد الآمل لا يأمل بالتأكيد بشيء لا واقع له، بل يأمل شيئًا يعرف هو نفسه أنه لا يمكن تحقيقه. وذلك حين يفقد الفرد، بدلا من أن يصبح فردا متذكرا، الأمل، يستمر في كونه فردا متفائلا، عندئذ يكون لدينا مثل هذا الشكل. عندما لا يريد الفرد أن يصبح آملا، حين يفقد الذكرى، أو حين لا يملك ما يتذكره، بل يستمر بكونه متذكرا، عندها يكون

لدينا شكل من أشكال التعيس. إذا فقد الفرد نفسه في العصور القديمة أو في العصور الوسطى أو في أي وقت آخر، ولكن على نحو بحيث إن هذا الفقدان امتلك واقعا محسوما له، أو أنه فقد نفسه في طفولته أو شبابه، بحيث إن هذا الفقدان كان قد امتلك واقعا محسوما بالنسبة إليه، فإنه لم يكن حقا فردا تعيسا بالمعنى الدقيق للكلمة. هل كنت أتخيل، بخلاف ذلك، إنسانا لم يسبق له أن عاش أيّ طفولة، وقد تجاوزه هذا العمر دون أن تكتسب أهمية حقيقية بالنسبة إليه، ولكنه الآن، على سبيل المثال، بأن يصبح معلما للأطفال، اكتشف كل الجمال الكامن في الطفولة، وأراد الآن أن يتذكر طفولته، ويحدق إلى الوراء دائما إليها، فإنه بالتاكيد سيكون مثالا ملائما. فهو سيكتشف إلى الوراء أهمية ما كان قد مضى بالنسبة إليه، والذي أراد مع ذلك أن يتذكره بكل مغزاه. لو كان لي أن أتخيل إنسانا قد عاش بدون أن يستوعب بهجة الحياة أو ملذاتها، والآن في لحظة وفاته وقع نظره عليها، وإذا تخيلت أنه لم يمت، وهو أفضل ما يمكن أن يحدث، لكنه أعيد إحياؤه مرة أخرى، دون أن يعيش حياته مرة أخرى، هذا الشخص بالتأكيد سيؤخذ بنظر الاعتبار، عندما يطرح السؤال حول من هو الشخص الأتعس.

إن أفراد الأمل التعساء لا يعانون أبدا من ألم الذكرى. دائما ما يشعر الأفراد المتفائلون بخذلان أبهج. لذلك، فإن الأتعس سيكون دائما باحثا بين أفراد الذكرى التعساء.

مع ذلك، سنواصل.علينا أن نتخيل مزيجا من الشكلين المذكورين، وبمعنًى أدق، شكلين تعيسين. لا يمكن للفرد الآمل التعيس أن يصبح نفسه حاضراً في أمله، تماما مثل الفرد المتذكر التعيس. والمزيج الوحيد الممكن هو المزيج الذي تمنعه الذكرى فيه من أن يكون حاضرا في أمله، والأمل الذي يمنعه من أن يصبح حاضرا في ذكرياته. ويرجع ذلك، من ناحية، إلى تطلعه المستمر إلى ما يجب تذكره، يشعر بخيبةٍ في أمله باستمرار، ولكنه يكتشف عندما يصاب بخيبة الأمل، يكتشف أنها لا تأتي بسبب دفع هدفه إلى الأمام، ولكن لأنه تجاوز هدفه، لأنه جُرِّبَ مسبقا أو كان يجب تجربته، وبالتالي انتقل إلى الذكرى. من ناحية أخرى، يتذكر باستمرار ذلك الذي يجب أن يأمله، لأنه سبق له أن فكر في المستقبل،

معتقدا أنه اختبره، ويتذكر ما اختبره بدلا من أن يأمله. وعليه فإن ما يأمله يقع وراءه، وما يتذكره يقع أمامه. حياته ليست إلى الخلف، بل اتجهت في الاتجاه الخاطئ في اتجاهين، وسرعان ما يلاحظ سوء حظه حتى لو لم يدرك ما يتكون منه حقا. ولكن للتأكد من حصوله حقا على الفرصة للشعور به، ينشأ سوء الفهم يسخر منه بطريقة غريبة في كل لحظة. إنه يتمتع، في العادة، بشرف اعتباره في عقليته الكاملة، ومع ذلك يعرف أنه إذا كان عليه أن يشرح لإنسان واحد كيف كانت الأمور معه، فسيُعتبر مجنونا. هذا بحد ذاته كاف لدفع الشخص إلى الجنون، ومع ذلك فهو لا يصبح كذلك، وهذه بالضبط هي محنته. مصيبته أنه جاء إلى العالم بشكل مبكر جدا، لذلك يصل باستمرار بعد فوات الأوان. إنه دائما قريب جدا من الهدف وفي نفس اللحظة يكون بعيدا عنه، من ثم يكتشف أن ما يجعله تعيسا الآن، لأنه يمتلكه أو لأنه على هذا النحو، هو بالضبط ما كان سيجعله قبل بضع سنوات سعيدا لو كان قد حصل عليه آنذاك، في حين أصبح هو تعيسا لأنه لم يكن مالكا له. لا معنى لحياته مثل حياة أنكيوس، الذي من المعتاد أن نقول إنه لا يُعرف أي شيء عنه سوى أنه قُدِّمَ مَثَلٌ عنه: «يوجد الكثير من الزلة بين الكأس وحافة الشفة».

كأن هذا لم يكن أكثر من كافٍ. لم تكن حياته تعرف السلام وليس لها محتوًى، ليس حاضرا في اللحظة، ولا حاضرا في الزمن الآتي، لأن المستقبل قد اختُبِر، ليس في الماضي، لأن الماضي لم يَحِن بعدُ. وهكذا يُلاحَق مثل لاتون إلى ظلام الهايبربورينز، إلى جزيرة خط الاستواء المشرقة، ولا يمكنه الولادة، وهو دائما مثل المرأة في حالة المخاض. مهجورا لنفسه، يقف وحيدا في العالم الواسع، وليس لديه معاصرون يمكنه أن يربط نفسه بهم، وبلا ماضٍ يمكن أن يتوق إليه، لأن ماضيه لم يأتِ بعدُ، ولا يمكن أن يأمل في وجود مستقبل، لأن مستقبله قد انتهى بالفعل. بمفرده يواجه العالم كله على أنه أنت الذي هو في صراع معه، لأن بقية العالم بالنسبة إليه هو شخص واحد، وهذا الشخص، هذا الصديق المتطفل بشكل لا ينفصل، هو سوء الفهم. لا يمكن أن يشيخ، لأنه لم يكن شابا قط، لا يستطيع أن يصبح شابا، لأنه قد تقدم في السن، وهو بطريقة لا يمكن أن يموت، لأنه بالتأكيد لم يكن قد عاش. وهو بطريقة لا يقدر أن يعيش، لأنه ميت بالفعل. لا يستطيع أن يحب، لأن الحب موجود دائما، وهو ليس لديه زمن حاضر، ولا مستقبل،

ولا ماضٍ، ومع ذلك، فهو يتمتع بطبيعة متعاطفة، وهو لا يكره العالم إلا لأنه يحبه، وليس لديه عاطفة، ليس لأنه يفتقر إليها، ولكن لأن لديه في نفس اللحظة العاطفة المضادة، وليس لديه وقت لأي شيء، لا لأن وقته مشغول بشيء آخر، ولكن لأنه لا وقت لديه على الإطلاق، إنه عاجز، ليس لأنه يفتقر إلى القوة، بل لأن قوته تجعله عاجزا.